فيعظم قدره عندهم ويكثر ماله وأما في الآخرة فتكونوا جامعًا بين تعظيم امر الله
والشفقة على عباده حيث شرط في كونه خيرا لهم ان يعملوه وهم المؤمنون بالله
تعالى وباحكامه وان جعل ذلك اشارة الى امر واحد وهو ايفاء الكيل والميزان
والامتناع عن ضده فانه امر واحد اكد فيه الامر بالايفاء بالنهي عن ضده وكان
قوله ان كنتم مؤمنين بمعنى ان كنتم مصدقين لي في قولي لا يكون الخيرية بمعنى الزيادة
مطلق لان القوم كفرة لم يفرض ايمانهم ليستحقوا ثواب الآخرة بل يكون المراد
خيريتهم في الانسانية وحسن الاحدوثة وهو عبارة عن الذكر الجميل بين الخلق فان الاحدوثة
ما يتحدث به المرء قوله وجمع المال معطوف على الانسانية فان اكثر الناس اذا عرفوه بالايفاء
للحقوق والعدالة والامانة رغبوا في المعاملة معه فيكون ذلك خيرا له في كسب المال
وجمعه فان قلت خيرية الايفاء فيما يتعلق بالامور الدنيوية من الانسانية وحسن
الاحدوثة وجمع المال ليست مشروطة بكونهم مصدقين للناصح فما معنى قوله ان
كنتم قلنا انه ليس شرطا للخيرية بل هو شرط لقبولهم لنصيحة الناصح ورغبتهم
فيه وظفرهم بعز الدنيا وسعادتها فكأنه قيل ان كنتم تصدقونني فيما اقول
فقد افلحتم وفزتم بعز الدنيا ودولتها قوله بكل طريق الباء فيه للالصاق او المصاحبة
لان القعود ملتصق بالمكان وان القاعد يلابسه ويحتمل ان يكون بمعنى في اثر القاعد
يحل بمكان قعوده ويكون بمعنى على لاستعلاء القاعد على المكان ويدل عليه قوله
سبيل الله الطريق الذي قعدوا عليه من طرق الدين قوله او الايمان بالله عطف على
قوله الذي قعدوا عليه فسر سبيل الله اولا بالطريق الذي قعدوا عليه من طرق الدين كالمعارف
والعقايد والحدود والاحكام وثانيا بالايمان بالله فيكون ضميره على الاول لكل صراط وعلى
الثاني للباري تعالى قوله ومن مفعول تصدون يعني ان قوله توعدون وتصدون تنازعا
في مفعولية قوله من آمن فاعمل فيه اقربهما على ما اختاره البصريون وحذف مفعول توعدون
ولا يجوز كونه مفعول توعدون لان المختار على تقدير اعمال الفعل الاول ان يضمر مفعول الفعل الثاني
حتى قال بعضهم لا يجوز حذفه الا في ضرورة الشعر ولما لم يضمر مفعول تصدون قال ابن الحاجب

الحاجب فان اعملت الفعل الاول اضمرت الفاعل في الثاني والمفعول على المختار الا ان
يمنع مانع فتظهر قوله وتوعدون بما عطف عليه بيان لقوله توعدون وتصدون
وتبغون احوال من فاعل تصدون اي لا تقعدوا موعدين وصادين وباغين ولم يذكر
الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب قوله وتطلبون لسبيل الله عوجا قوله تبغونها
من باب الحذف والايصال والمعنى تبغون لها انث ضمير السبيل لانها يذكر ويؤنث
ثم ان شعيبا لما امرهم ونهاهم وارشدهم الى ما هو خير لهم في دينهم رغبهم في طاعة
الله تعالى بشكر النعمة فقال واذكروا نعمة الله كثر عددكم بعد القلة وكثر دنياكم
بعد الفقر وكثر قوتكم بعد الضعف ثم هددهم بتذكير عاقبة المفسدين من الامم
قبلهم قوله والذين آمنوا عطف على الكاف في لنخرجنك ويا شعيب اعتراض
بين المتعاطفين وقوله او لتعودن عطف على جواب القسم اذ التقدير
والله لنخرجنك والمؤمنين او لتعودن والعود هو الرجوع الى الحالة الاولى
ومن المعلوم ان شعيبا لم يكن على دينهم وملتهم قط لان الانبياء لا يجوز
عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر
الا انه اسند العود اليه والى من معه من المؤمنين لهم عليه لان العود متصور
في حقهم قوله وعلى ذلك اي وعلى اعتبار التغليب نظم نفسه في جملتهم وقال
في جوابهم انعيد ونا في ملتكم على كل حال حتى في حال كراهتنا اياها ثم قال
ان عدنا في ملتكم على كل حال حتى في حال كراهتنا اياها ثم قال ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها قد افترينا فان العود في ملتهم انما يتصور في حق
الذين معه من المؤمنين لا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريئا مما كانوا
عليه ازلا وابدا اجراء للكلام على حكم التغليب قوله وهو بمعنى المستقبل فلذا
مع ان يقع جواب الشرط وهو قوله ان عدنا فانه جواب الشرط فقد افترينا عند الجمهور ان جواب الشرط عليه بل هو جواب
لدلالة ما قبله عليه فهو جواب من حيث المعنى لا من حيث اللفظ وعلى التقدير
لا بد ان يكون وقوع مضمونه مرتبا ومعلقا على وقوع مضمون الشرط وهو العود الى ملة الكفر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)